موضوع الدراسة: المدرسة القرآنية والطفولة.

أ / يخلف رفيقة
ماجيستر في علم الاجتماع
جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف–

تمهيد:

ارتبط التعليم المغربي منذ الفتوحات الإسلامية الأولى إلى يومنا هذا بالمدارس العتيقة أو ما يسمى بالمدارس القرآنية. أو التعليم الإسلامي أو التعليم الأصيل، وقد قامت هذه المدارس بتلقين العلوم النقلية كالعلوم الشرعية والعلوم اللغوية والمعارف الأدبية وزيادة عن ذلك العلوم العقلية والكونية.

ويعد الكتاب (المدرسة القرآنية حاليا) من أقدم معاهد التربية في الإسلام، وتاريخ وجود الكتاب في الجزائر يعود إلى دخول المسلمين إلى الجزائر تحت قيادة عقبة ابن نافع، بحيث دخل معهم التعليم القرآني، وكان منتشرا انتشارا كبيرا في كل حي في المدن وفي كل قرية والأرياف، وإن التحاق الطفل بالمدرسة القرآنية قبل دخوله المرحلة الابتدائية لها أدوار كبيرة في تنمية شخصيته من الناحية الدينية والأخلاقية والاجتماعية والتعليمية وسنتطرق في هذه الدراسة إلى أهمية المدرسة القرآنية في الطفولة المبكرة.

الإشكالية.

لقد كانت نتيجة دخول الإسلام إلى الجزائر انتشار التعليم الديني ومؤسساته في الجزائر، وذلك لتعليم الأهالي مبادئ دينهم، إلى جانب القراءة والكتابة، لقد رافق الفقهاء والعلماء جيوش الفاتحين وذلك لاعتبار الدين هو أساس الفتح، وهكذا انتشرت المساجد والكتاتيب لإقامة الصلوات وإلقاء الدروس فكانت تلك بداية التعليم الإسلامي ومؤسساته بالجزائر، وكانت نتيجة ذلك انتشار كثير من المراكز الثقافية والعلمية والمدارس القرآنية من بين المؤسسات التعليمية والتي كانت لها دور إيجابي فعال في نشر التوعية والتعليم ببلادنا وانتشرت الكتاتيب في الجزائر لتعليم الأطفال رغم انتشار المدارس العصرية، في أيامنا هذه لازالت الكتاتيب منتشرة وخاصة في القرى وهي إما منفردة أو ملحقة بالمساجد حيث توجد حجرات متخصصة ومعلمين لتعليم القرآن الكريم، إلى جانب تعليم أحكام الوضوء والصلاة من فرائض وسنن، وبهذا نجد أن المدرسة القرآنية هي مؤسسة تعليمية تربوية ذات طابع ديني والمخصصة لهذا الغرض، وفي نفس الوقت هي مؤسسة تحضيرية للدخول المدرسي حيث تدرس فيها مبادئ القراءة والكتابة والخط واكتساب المعارف والمهارات

اللغوية، ومنه نتساءل فيما تظهر أهمية المدرسة القرآنية في مرحلة الطفولة المبكرة خاصة في مجال التربية والتعليم ؟ وما هي أساسيتها التي تقوم بها في ذلك ؟

تحديد المفاهيم:

الطفولة: الطفولة هي مرحلة مبكرة من مراحل نمو الإنسان تتميز بالنمو الجسمي السريع والمحاولات الأولى للتعلم وأداء أدوار ومسؤوليات البالغين من خلال اللعب والتعليم الرسمي.

ومرحلة الطفولة المبكرة early childhood stage التي تبدأ مع نهاية مرحلة الرضاعة وتستمر حتى عمر 6 سنوات، وهي المرحلة الأولى لمحاولات التنمية الاجتماعية التي تتميز باستغلال الطفل الحركي وتطور سلوكه الاجتماعي، ووعيه بفرديته.(1)

المدرسة القرآنية:

المدرسة القرآنية هي مدرسة تتباين فيها مستويات التعلم، تدرس فيها مبادئ القراءة والكتابة وتلقين وتحفيظ القرآن الكريم، وتدريس باقي العلوم الشرعية المساعدة على فهم معاني الألفاظ القرآنية وروح الشريعة.

أهمية الطفولة المبكرة:

لقد أصبحت النظرة إلى الطفل ككل تأخذ الأهمية القصوى في التربية وأصبح العمل على استغلال قدراته الكامنة وإظهار جوانب تفوقه في إطار من الشخصية المتميزة التي تتسم بالثقة بالنفس وتحمل المسؤولية، والقدرة على الفهم والميل إلى اكتساب المعرفة، هي من الأهداف الرئيسية لتربيته وتعليمه فمع تزايد الوعي بأهمية التربية والتعليم في مرحلة الطفولة المبكرة قام العلماء والباحثون

التربويون بإجراء عديد من الدراسات والأبحاث والتجارب على طفل هذه المرحلة لتفسير مسار اتجاهات الفكر التربوي فيها في ضوء ما تكشف عنه هذه الأبحاث والدراسات من نتائج ولإقامة العملية التربوية والتعليمية على أسس جديدة تتفق وتميز مرحلة الطفولة عن بقية مراحل النمو الإنساني، وهو ما يأخذه المخططون التربويون بعين الاعتبار.(2)

إن للخبرات التي يتعرض لها الطفل في طفولته المبكرة أهمية كبيرة في مسيرة حياته المستقبلية، ولذلك كانت هناك ضرورة لتصميم برامج تربوية تزود الأطفال بالخبرات وبرامج تتناسب وخصائصهم وقدراتهم.

فالسنوات الخمس أو الست الأولى تمثل مرحلة حاسمة في تكوين شخصية الطفل واحتياجاته المستقبلية، وهذا ما يؤكد ضمنيا على أن التربية التي يتلقاها الطفل في هذه المرحلة تشكل وبدون

منازع الإطار المرجعي الأساسي في نجاح أي سياسة تربوية وثقافية وفي إفساح المجال أمام ظهور الكفاءات والمواهب وتنميتها.

وخلاصة أراء المفكرين يرون أن ثمة اتفاقا بين كل من الفلاسفة والباحثون المسلمون والغربيون وكذلك أصحاب الاتجاهات المعاصرة والحديثة للتربية على الاهتمام بالطفل وتربيته وتقديمهم الأنشطة التي تساهم على تنمية جوانب النمو المختلفة لديه.

وتتلخص جوانب النمو المختلفة في الاهتمام بالجانب الأخلاقي والديني أولا وبالاهتمام بالتربية الحسية للطفل من حيث تقديم المحسوسات التي من خلالها يتعلم الطفل، كما أكد الجميع أن أهمية اللعب في حياة الطفل كأساس لتعليمه المفاهيم الحياتية والأساسية وأكد الجميع على أهمية تدرج معرفة المقدمة للطفل بحيث نبدأ من السهل إلى الصعب، ومن المحسوس إلى المجرد والاعتماد على الحواس الخمسة في اكتساب المعرفة وأهميته أن يكون الطفل محور العملية التعليمية.[3]

وتزايد منذ زمن غير قصير التنبه إلى أهمية التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة، ووفقا لاجتماع التعليم الذي عقد في نيودلهي عام 1993 لمراجعة مقررات مؤتمر غومتين / تايلاند 1990م، يساهم في تطوير عقل الطفل ويرفع مستوى استعداداتهم المدرسية وقدراتهم لتلقي المزيد من التعليم في المستقبل.[4]

ويتجسد هذا التعليم في مؤسسات ما قبل المدرسية، ولها خصائص وبرامج ومناهج تسير عليها، ومن هذه المدارس المدرسة القرآنية التي تعتبر مؤسسة تربوية ذات طابع ديني، لها برامج تسير عليها ولذا " يجب على الآباء اصطحاب أولادهم في الرابعة إلى المسجد ليتعلم عدة أمور اجتماعية منها،

آداب دخول المسجد والمحافظة على نظافة المسجد والهدوء فيه، وكذلك إلحاقه بجماعة تحفيظ القرآن الكريم في المسجد لما فيها من فائدة عظيمة."[5]

فحفظ القرآن الذي به أكبر مخزون من المعارف التي تهذب النفس وتقوم السلوك لأنه لا تنقضي عجائبه، فكلما زاد مقدار حفظ الولد للآيات والسور زاد احتمال معرفته بمضامينها التي هي إما عقيدة تعود السلوك أو أمر بخير أو تحذير من الشر[6]

ويقول ابن خلدون الابتداء في التعليم بكتاب الله تلاوة وحفظا ثم ينتقل سنه إلى غيره من العلوم.

إن تلقين العلوم للمتعلمين يكون مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا فقليلا يلقي على المتعلم مسائل في كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب يقرب له فيشرحها على سبيل

الإجمال ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يردد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك تحصل له ملكة في ذلك العلم (ابن سحنون).[7]

حاجات الطفل في مرحلة ما قبل التمدرس:

لا يمكن للمؤسسات التربوية التي تهتم بتربية وتعليم الطفل في مرحلة ما قبل التمدرس أن تسطر برامجها وتحدد أهدافها إلا بمعرفة خصائص وحاجات نمو الطفل في هذه المرحلة، وبهذا تساهم هذه المؤسسات إلى جانب الأسرة بقدر كبير في تشكيل القاعدة السليمة للشخصية السورية القادرة على التكيف مع مختلف المواقف ومواجهة مختلف العراقيل التي يمكن أن تصادفه في حياته.

« ويعرف النمو أنه عبارة عن سيرورة مستمرة غير عشوائية ومتصلة بحيث تتأثر بالمراحل الراهنة وتتفاعل مع المراحل اللاحقة يمكن تشبيهها بالعقد المنظم الذي لا تنفصل روابطه»[8]

ومنه نستخلص أن النمو يدل على مجمل عمليات التحول التي تصيب الأجسام الحية ويتضمن جميع التغيرات الفيزيولوجية والجسمية من حيث الطول والوزن والحجم، وكذا التغيرات السلوكية والانفعالية والاجتماعية التي يمر بها الفرد في مراحل نموه المختلفة.

من هذا المنظور نتطرق إلى بعض حاجات النمو لدى الطفل في هذه المرحلة ومنها:

حاجات النمو الجسمي:

النمو الجسمي في مرحلة الطفولة المبكرة يتضمن التغير التشريحي كما كيفا وحجما وشكلا ونسيجا بحيث يشمل النمو الهيكلي كنمو الطول والوزن والحجم. " وتتطلب هذه المرحلة تعليم الطفل العيش مع الآخرين والشعور بالثقة التلقائية، والتوافق الاجتماعي".

ويرى سعيد حسني العزة أن نمو الطفل في هذه المرحلة في الوزن والطول ببطء قياسا لما كان عليه وهو رضيعا إلا أنه أسرع مما يكون عليه في الطفولة المتوسطة"[9]

وترى أميرة علي محمد أن متطلبات النمائية في هذه المرحلة تظهر بصورة أكثر تطويرا من المرحلة النمائية السابقة ويمكن رسم معالمها الأساسية في حاجة حب الطفل إلى تطوير مهارات المشي والزحف والتسلق والقفز على القدم، والركض والرمي، والركل إضافة إلى تطوير مهارات التحرك والتنقل[10].

ومنه نجد أن النمو الجسدي الصحيح يتم في ظل العمل التربوي المنظم ومن أجل أن نضمن حسن هذا النمو وتطوره لا بد أن يمارس الطفل أنواعا وأشكالا من الرياضات الجسدية كالتسلق

والسباحة وركوب الدراجة، ويكون بحاجة إلى التغذية الصحيحة، الحركة والنشاط والوقاية من حوادث والأمراض.

حاجات النمو العقلي:

«إن الطفل يكتسب تعليماته الأولى على المستوى العقلي من المحسوسات والمثيرات الملموسة فهو لا يدرك المسائل المجردة إلا لاحقا من خلال المراحل العمرية الأكثر تطورا، ويرى سعيد حسني العزة، أن له الطفل من مظاهره لديه ذكاء عام ولديه القدرة على الإدراك والتذكر والتعلم وحل المشكلة وعلى التحدث باللغة»(11)

وترى أميرة علي محمد بتميز إدراك الطفل في هذه المرحلة بأنه إدراك حسي وليس مجردا، لهذا فإنه يتفاعل مع الأشياء تفاعلا حسيا وتخيليا، ويميل إلى اللعب الابهامي وسما القصص الخيالية، ويحاول أن يفهم كل ما يدور حوله(12)

وترى د هدى محمد فتاوي تشمل تنمية العقلانية وممارسة التفكير العلمي والقدرة على التعامل مع آليات التكنولوجيا المتقدمة وتنمية تميز التغير والقدرة على التعلم الدائم والتام وتنمية القدرة على الإبداع والابتكار (13).

ومن حاجات هذه المرحلة الحاجة إلى البحث والمعرفة والاستطلاع واكتساب المهارة اللغوية وتنمية المهارات العقلية كالتذكر والإدراك والتفكير (14) لذلك ينبغي الاهتمام بالقصص التربوية المقدمة للطفل وعدم المبالغة في القصص الخيالية حتى لا يؤدي ذلك إلى تشويه الحقائق المحيطة به والعمل على تقوية نموه العقلي، وكذلك تنمية الابتكار عنده من خلال استخدام اللعب واستغلال هواياته في سماع الأغاني والأناشيد وحب القصص وتقوية ذاكرته.

حاجات النمو الوجداني والاجتماعي:

يتأثر النمو الاجتماعي بصفة خاصة بعملية التنشئة الاجتماعية في الأسرة لكونها تلعب الدور الأكبر في إشباع حاجات الطفل الشخصية إذ أن معظم توافق الطفل المتعلم من الوالدين عن طريق تقمص شخصياتهم وتقليد سلوكاتهم، فالسلوك الاجتماعي في الأسرة هو عبارة عن نموذج يتعلم منه الطفل أساسيات اجتماعيته.

وترى " هدى محمد فتاوى أن هذه المرحلة تشمل التنمية القدرة على الإنتاج وتقدير العمل والتعاون كفريق وتنمية المشاركة الإيجابية في القرارات المجتمعية"(15)

ويرى سعيد حسني العزة أن في هذه المرحلة يزداد وعي الطفل ببيئته الاجتماعية وتنمو لديه الألفة ويزداد مشاركته الاجتماعية مع من حوله ويتعلم المعايير الاجتماعية وينمو لديه الوعي والإدراك الاجتماعي[16].

وترى أميرة على محمد أن النمو الاجتماعي يمثل مسألة ضرورية لإنماء شخصية الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة وبدور التكوين الاجتماعي للطفل في هذه المرحلة بالتعامل مع نفسه، والتعامل مع الآخرين الذي يعيشون معه وبتفاعل معهم خارج الأسرة والتكيف مع الأشياء والتعامل مع الآخرين الذين يعيشون معه ويتعامل معهم خارج الأسرة والتوافق واستمرار التنشئة الاجتماعية[17].

وترى هدى محمود الناشف حول دخول الطفل الروضة يعتبر أول اتصال اجتماعي حقيقي للطفل وتتوقف قدرة الطفل ومهارته في تكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين وبخاصة الأطفال في مثل سنه، على ما يكون لدى الطفل في سنوات حياته الأولى من شعور بالطمأنينة والاستقرار النفسي وثقة بالنفس وشعور بالحياة والاستقلال والرغبة في الاعتماد على النفس واكتشاف علاقات جديدة ومستوى من النضج والثبات الانفعالي والنمو العقلي ومفهوم إيجابي عند الذات يمكنه من أن يخطو نحو الآخرين دون أن يشعر بأن ذلك يهدد كيانه أو فرديته[18].

وبالتالي نجد أن الطفل في هذه المرحلة بحاجة إلى التقدير الاجتماعي النجاح، الاستقلال، السلطة الضابطة، أو المرشدة، الرفاق، الاتصال الاجتماعي لذلك على الراشدين استثمار قدرات الطفل على المحاكاة بأن يكونوا نماذج حية صالحة من خلالها يعلمون الطفل طرق التعامل مع البيئة بكل ما تحتويه ويمكن الاستفادة من اللعب لأداء الأدوار المختلفة التي تبرز علاقات الناس، فيما بينهم وهذا ما يمكنه من تكوين سلسلة من الممارسات ذات الطابع الاجتماعي لأن الغاية المرجوة من خلال مجموع هذه الاكتسابات تكمن في سماء الإنسان بأبعاده السامية.

أهمية المدرسة القرآنية: (الكتاتيب القرآنية)

نشط المسلمون منذ زمن بعيد في الاهتمام بتربية الطفل في المرحلة العمرية، التي تسبق انتظامه بأحد الكتاتيب لتعلم القراءة والكتابة وبعض الحساب وحفظ القرآن الكريم، والظاهر أن التعليم في الكتاتيب والخلاوي اتخذ منهجا له هو في الأساس تعليم ديني أخلاقي يهتم بالدرجة الأولى بتحفيظ القرآن وأساليب الدين الحنيف ويمكن القول أن المناخ التربوي في الكتاب كان رائعا بمعنى أن العلاقة بين الأطفال ومن يعلمهم كانت تتسم بالمودة والتآلف بل إن كل طفل كان يعامل معاملة فردية بحسب ما تسمح له قدراته العقلية والجسمية إذ كان الأطفال يشتركون جماعات في تلاوة القرآن.

كما كان التعاون سائدا بين الأطفال بعضهم والبعض الآخر فيساعد الذي حفظ زميله الذي لم يستطع الحفظ أمرا مشجعا سواء لمن يعلم أو من يتعلمون. ربما كانت هناك حوافز مادية ومعنوية لمن يجيد الحفظ والتعلم وكان يقتصر التعلم على معرفة بعض الكتابة والقراءة، والحساب.[19]

تعددت المؤسسات التي تولت الطفل بالتربية في المجتمع الإسلامي فاشتملت المجتمع بأكمله، فكانت هناك الأسرة والأقران، ومؤسسات المجتمع الدينية والثقافية والاجتماعية والعلمية والمهنية المختلفة (كالمساجد، والربط، والزوايا، والحوانيت الوراقين، والمكتبات العامة والخاصة)، وهو ما نسميه اليوم " التربية العارضة"، التي يتلقاها الطفل في الشارع من الثقافة المبثوثة في المجتمع".

وقد وجد نوع من المؤسسات التعليمية في المجتمعات الإسلامية طوال عصور متعاقبة وانتشر تعليم صغار الأطفال (من سن السادسة تقريبا) فيها عرفت بالكتاتيب التي كانت أهدافها من العصور الإسلامية الماضية ملائمة في كثير من الأحيان حال العصر وإمكاناته (لا سيما قبل ظهور المدارس النظامية)، ومتفقة مع الأغراض التربوية على نحو ما كان يراها أبناء ذلك العصور.

لقد كان الهدف الأساسي في تعليم الكتاتيب قديما، هو تحفيظ القرآن في سن مبكرة للطفل بمجرد تهيؤه للتلقين جسميا وعقليا على أن حفظ القرآن واستظهاره لم يكن كل شيء في منهج " الكتاب " بل كان الطفل يتعلم الخط والقراءة والكتابة لأنهما وسيلتان لتعلم القرآن.

ويرجع أن بداية القرن الأول الهجري كانت بداية نشأة الكتاتيب التي انتشرت مع انتشار الإسلام وأصبح بناء الكتاتيب لتعليم أبناء المسلمين القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي بالإضافة إلى القراءة والكتابة وقد تولى التعليم في هذه الكتاتيب عدد من حفظة القرآن الكريم والمتمعنين في ما جاء فيه من معان والجدير بالذكر أن الكتاتيب مازالت شائعة في بعض البلدان العربية حتى اليوم بل هي في إحصاءات هذه البلدان جزء من رياض الأطفال وقد يرجع السبب في بقائها في هذه البلدان إلى أمور

ترجع إلى دورها الاجتماعي ومهمتها الدينية التي تحملها وأنها تضم أعدادا كبيرة من الأطفال تعجز رياض الأطفال الحديثة (سواء كانت تابعة للدولة أو للمؤسسات الأهلية) عن استيعابها.[20]

والواقع أن الكتاتيب بهذه الصورة تمثل أولا وقبل كل شيء مدرسة قرآنية مهمتها التعليم الديني، وإنها افتقرت إلى وجود تصور تربوي واضح لها ولم يكن فيها ما يشبه روضة الأطفال

الحديثة في أهدافها أو في برامجها أو في أساليب تربيتها ولا معلميها، على الرغم من وجود بعض المظاهر التي تتشابه إلى حد ما مع الاتجاهات الحديثة في التربية من تلك المظاهر أنها تأخذ ضمن إطارها وحدودها بما نجده في بعض التجارب التربوية الحديثة التي تلجأ إليها بعض المجتمعات.

والمدرسة القرآنية هي مؤسسات تربوية دينية يقوم منهجها أساسا بالنهوض بالطفل روحيا وذلك بتحفيظهم القرآن الكريم وتعلم بعض المبادئ الأخلاقية وذلك بتمكينهم من تعلم البعض من مبادئ القراءة والكتابة والحساب إلى بعض النشاطات الحركية، ومن خلال برامج هذه المؤسسة تعمل على تنمية قدرات الطفل، ويستطيع الطفل التغلب على مشكلاته سواء كانت نفسية أو اجتماعية في المستقبل بالإضافة إلى تحقيق مستوى دراسي جيد.

وحسب الدراسات الحديثة تؤكد في هذا الموضوع أن شخصية الطفل تتكون أغلب معالمها في هذه الفترة، ويتحصل الأطفال في هذه الفترة على الرصيد اللغوي الأولي الذي يسمح لهم بالتواصل مع الغير.

حيث أهم ما تقوم به المدرسة القرآنية من تحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ اللغة العربية قراءة وكتابة ولديها عدة أهداف تسعى إليها:

- تهيئة النشء لمواجهة الحياة الخاصة والعامة من المنظور الإسلامي.
- تحصين شخصية الطفل بربطه مبكرا بالقرآن عقيدة وعقلا ووجدانا.
- تمسك النشء بالقرآن الكريم حفظا واستظهارا وحسن تلاوته وفق قراءة نافعة.
- تعليم النشء مبادئ العبادات وتعويدهم على أدائها والمواظبة عليها.
- تلقين النشء المبادئ الأولية في الترتيل والتلاوة والتجويد.

ويقول ابن خلدون: " اعلم أن تعليم الوالدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات
وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبني عليه واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلاف باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات".[(21)]

ونجد القابس القيرواني من أهم مؤلفاته الرسالة " المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، ولقد أوضع القيرواني في هذه الرسالة صورة عن تنظيم الوقت للأطفال الدارسين بالكتاتيب في عصره (القرن 4 هـ) وما يدرس لهم (المنهج)، وقسمه إلى مرحلتين، الأولى مرحلة

إجبارية يحفظ فيها الطفل القرآن والدعاء، ويتعلم فيها بعض مبادئ اللغة والشعر، والثانية مرحلة اختيارية تلي المرحلة الأولى ويتعلم فيها الصبي القرآن والتفسير والفقه والنحو والأدب والشعر والحساب والهندسة والتاريخ والحديث، وقد اتخذ القرآن ككتاب للمطالعة كما كانت القراءة تسير مع الكتابة جنبا إلى جنب[22].

فكانت الزوايا والمساجد والكتاتيب القرآنية في الجزائر قامت بدور عظيم في ترسيخ العقيدة الإسلامية وتقوية الشخصية الوطنية والمحافظة على القرآن الكريم واللغة العربية والعلوم الإسلامية.

" فكانت المساجد والزوايا والكتاتيب تعمل في صمت وخفاء فاستطاعت هذه المؤسسات الدينية أن تؤثر في المجتمع الجزائري وتحافظ على أصالته وتحمي تراثه وتوزع بذور الأمل في صدور هؤلاء الطلبة ورواد هذه المؤسسات الدينية.

من هذه المؤسسات الدينية انطلق هؤلاء المهاجرين الباحثون عن العلم المعرفة هذا قاصدا جامع الزيتونة وذلك جامع الأزهر، وآخر المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوي بالمدينة المنورة وآخر إلى الشام وإلى جامع الفروس".[23]

مهمتها الدينية:

يقصد بها تلك المدارس الدينية التقليدية التي انتشرت في المغرب العربي منذ الفتوحات الإسلامية، وهي تمتاز بأصالة التعليم وتلقين العلوم الشرعية وشرح مبادئ العقيدة الربانية كذلك وتسمى أيضا بمدارس الدين الإسلامي ومدارس التعليم الأصيل أو مدارس التعليم التقليدي أو التعليم القديم أو المدارس الدينية أو مدارس التربية.[24]

ويرى د. مراد زعيمي " دور المسجد يعلم الناشئين أن كل أمور الحياة تابعة للارتباط بالله وصادرة عن هدف التربية الإسلامية الشامل الذي هو إخلاص العبودية لله .. ويغرس هذا المعنى في نفوس الناشئ عفوا من غير قصد ولا تكلف."[25]

ومن أهم أهداف المدارس القرآنية تلاوة القرآن وقال رسول الله – ص– " وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلى نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه." وقال أيضا " من أراد أن يناجي الله فليصل ومن أراد أن يناجيه الله فليقرأ القرآن."[26]

وترى بعض الدراسات أن المجالات التي تؤثر فيها المؤسسات الدينية هي:

– تعليم الفرد التعاليم الدينية وتجسيدها بالإضافة إلى تأكيدها على القيم الخلقية والروحية عند الناس، وتجسيدها في السلوك العملي.

- تزويد الفرد بإطار مرجعي سلوكي وتنمية الضمير عنده وعند الجماعة.

- إن الهيئات الدينية وأماكن العبادة المختلفة لها أدوار مهمة بما تقوم به من أنشطة في حياة الأفراد والجماعات.

- توحيد السلوك الاجتماعي والتقريب من الطبقات والفئات الاجتماعية.[27]

والمدارس القرآنية استطاعت المحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية وهي اللغة العربية والدين الإسلامي، ويعتبر التعليم الديني له دور في مسايرة تطور الأحداث، وانفتاح على بقية العلوم والثقافات.

- تحصين شخصية الطفل يربطها مبكرا بالقرآن الكريم عقيدة وعقلا ووجدانا.

- تعود الطفل تدبر معاني القرآن الكريم والتعرف على أحكامه ومبادئه العامة استعدادا للفهم والتطبيق.

- تلقين النشء برصيد لغوي عربي صاف بالتفهم للمعجم القرآني الإسلامي.

مهمتها التعليمية:

تتأسس فكرة الكتاب القرآنية على عملية اكتساب المعلومات والمعارف والخبرات المقصودة وعلى المنهجية في التلقين العربي الذي استطاع أن يتبوأ المكانة العليا في دراسة وتعميق القصد بالكتاب القرآني وتحسين مردوديته.

ولقد تبلورت فكرة الكتابة القرآنية منذ القرون الأولى للإسلام حين اهتم المسلمون بتهذيب أطفالهم والعناية بمعارفهم والاجتهاد في تحسين وتطوير أساليب التلقين وتحفيظهم.

ولا شك أن المقررات الدراسية عند المسلمين هو القرآن الكريم، فكان المسلمون يبدءون في إقراءه للطفل بجملة قراءة درج ثم يعمدون إلى تحفيظه إياه كله، أو ما تيسر منه، وقد يبدأ المعلم بإعراب بعض آياته وتفسير غريبه تفسيرا وجيزا وتعليم طريقة ترتيله وتجويده كما يعلمهم مبادئ العلوم والأدب التي تعينهم على تفهم معاني كتاب الله.

كما أن التعليم ومناهجه ومقاصده في مراحل التعليم الأولى لم تقتصر على هذا ولم تقف عند حد الأخذ ببعض العلوم القرآنية أو الأدبية بل تدخل فيها اكتساب المهارات الجسمية والتربية الخلقية، فقد ثبت المسلمون إلى أهمية السنوات الأولى من حياة الطفل في تقويم نشأته واكتسابه العادات والصفات الحميدة ويظهر هذا خاصة في كتب ابن جوزي وابن مسكويه وابن سينا والغزالي، ومنهج ابن جماعة، ومنهج العاملي صاحب المنيه وغيرهم الكثير.[28]

وهناك دراسات تناولت الموضوع في هذا المجال منها:

– دراسة سعد بن فالح المغامسي: أظهرت أن تلاوة القرآن الكريم وحفظه ودراسته أسهمت في تنمية مهارات القراءة والكتابة لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي مما مكن التلاميذ في مدارس تحفيظ القرآن الكريم من الحصول على درجات أعلى من متوسط أقرانهم في مدارس التعليم العام.

– دراسة هانم حامد ياركندي (1411هـ) دلت على تفوق طالبات الصف الرابع في مدارس تحفيظ القرآن على طالبات مدارس التعليم العام في مهارتي القراءة والإملاء.

– دراسة وضحى السويدي (1414هـ) التي دلت على وجود علاقة فاعلة (إيجابية) قوية بين حفظ القرآن الكريم وتلاوته، وبين القراءة الجهرية والقدرة على الكتابة لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي في قطر وتلميذاته.

أهداف المدرسة القرآنية:

إن أهداف المدرسة القرآنية عبارة عن أهداف تربوية واجتماعية وثقافية تجمعها غاية أساسية هي تربية جيل مسلم على القرآن تلاوة وأخلاقا ومنهجا واستنقائهم من وطأة الأخلاق الذميمة والعادات وشغل الشباب بمعالي الأمور ورفع المنازل.

– تنمية روح الاعتزاز لدى الطالب بإسلامه وهويته وكتاب ربه.

– فتح آفاق جديدة وواسعة أمام الشباب على معاني القرآن.

– إمداد الأمة والمجتمع بحفظ القرآن ليبقى فيها ميزتان حفظ الصدور وحفظ السطور.

– تقديم القرآن بطريقة مشوقة وفيها أصالة التراث الإسلامي وخلوده وعظمته.

أبرز الأساليب والطرق في تربية الطفل وتعليمه من المنظور الإسلامي:

كان المربون المسلمون من أوائل من أكد أهمية الطريقة في التربية، وحددوا الشروط والمبادئ التي ينبغي مراعاتها فيها من أهم وأبرز طرق تربية الطفولة في الإسلام:

التربية والتعليم من خلال القدوة الحسنة:

فقد وجه المسلمون عناية خاصة إلى أثر القدوة في تربية الصغار وحرصوا عن توفير القدوة الصالحة كعامل تربوي يسهم في تنشئة الصغار وتهيئتهم وإكسابهم لآداب السلوك الاجتماعي عن طريق الاحتذاء والتقليد للمربين ولقد نص القرآن الكريم في كثير من المواقع على أهمية القدوة الحسنة قال تعالى " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" سورة الأحزاب، الآية 21.(29)

التربية من خلال القصة:

للقصة في القرآن الكريم مكانة كبيرة فهي أسلوبه في كثير من الآيات الكريمة والسور التي وردت به، وهي وسيلة من وسائل القرآن كبيرة إلى الأغراض الدينية.

وقد أكد ابن مسكوية والغزالي أهمية القصة وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم واعتبروها وسائل تربوية مهمة ويتوقف تأثير القصة التربوية على قدرة القاص على إخراج الطفل من حدود نفسه إلى حيز القصة ليندمج في حوادثها ويدرك معاينتها، ومن ثم فلا بد أن تتناسب والمرحلة السنية التي يمر بها[30].

التربية والتعليم من خلال التشبيه والمماثلة والقياس:

أشار القرآن الكريم والسنة النبوية إلى أثر استخدام هذا الأسلوب في التربية لما له من تأثير عميق على العواطف وعلى سلوك الإنسان لو استعمل بحكمة وفي الوقت المناسب يقول تعالى: " وتلك الأمثال نضربها للناس لعلّهم يتفكرون" سورة الحشر الآية(21) وقوله تعالى: " ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل" سورة الفيل الآية(1)

ويغير هذا الأسلوب كثيرا في تربية الأطفال لأن مداركهم تقف عادة عند الأمور الحسية فلا يقووا على فهم المعاني المجردة. [31]

التربية من خلال اللعب:

قد أدرك المسلمون دور اللعب كوسيلة لاستنفاذ الطاقة الزائدة عند الطفل واعتبروه دليلا على الصحة وفي ذلك يقول أبو القاسم عبد الله بن محمد: إن لم يكن الأطفال كذلك (لاعبين) فعلق عليهم التمائم " كذلك فقد اعتبر ابن سينا أن اللعب هو النشاط الأساسي خلا الحياة اليومية للطفل وأشار في كتابه " القانون" لألعاب رياضية في صعوبتها وتعقيدها بتقديم المراحل العمرية للأطفال.

كما نادى الإمام الغزالي بتشجيع الطفل على الرياضة والحركة واللعب الذي يريحه من عناء التعلم "إن منع الصبي من اللعب وإرهاقه بالتعلم دائما يميت قلبه ويطيل ذكاءه".[32]

التربية والتعليم بالممارسة العملية:

من الأساليب الأساسية في التربية الإسلامية التربية بالممارسة العملية.

وقد أكد ذلك علماء المسلمين والمربون أمثال ابن مسكويه الذي ربط بين العلم والعمل، وكذلك ابن خلدون فقد ذكر أن التربية عن طريق الممارسة العملية وما يرافقها من تكرار وممارسة معززة تؤدي إلى تعلم جيد وتثبت الخبرات المكتسبة وخاصة لدى الأطفال" إن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره"

كذلك فالتربية الإسلامية فقد أكدت أن تكوين أخلاق الطفل وتنشئته، لا تقوم بالوعظ وحده، ولا بالنصح القولي فحسب ولا بحفظه لنصوص القرآن والحديث التي تدعو إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق فقط بل بالأفعال التي يمارسها الطفل عمليا فيتعلم ما هو صواب وما هو خطأ وما يجب عليه وما يجب له[33].

ونرى أن تربية الطفل في الفكر الإسلامي هي عناية شاملة متكاملة بشتى جوانبها هدفت إلى تأديب النفس تصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم غير أن الهدف الديني هو هدف الأهداف أو أهمها على الإطلاق لأنه هدف تندرج تحته الأهداف الأخرى وهكذا فالفكر الإسلامي يهدف في تربية الطفل أن ينمو نموا سليما وتتفتح شخصيته بشكل متكامل متزن من جميع مظاهرها الجسمية والاجتماعية والوجدانية والخلقية والجسمية بإشباع حاجات النمو لديه وتحقيق هذا النمو بصورة متناسقة.

الخلاصة:

من خلال ما سبق نتوصل إلى أن المدرسة القرآنية لها أهمية كبيرة في تكوين شخصية الأفراد المتمثلة في تربية النشء وتعليمهم على قواعد الدين الإسلامي وترسيخه، وتعد المدرسة القرآنية من المؤسسات التي تتميز بأصالة التعليم وتلقين العلوم الشرعية وشرح مبادئ العقيدة، فهذه المدارس لها أثر كبير في تنشئة الطفل خاصة في الجانب الديني (حفظ القرآن، العقيدة، الحديث، الآداب العامة)، وتعليم (الخط والكتابة، والقراءة، الحساب، اكتساب معارف) وتربوي كذلك، وفي ذلك يقول رسول الله –ص– " أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم "، فإن الابن على ما رآه في حال الصبي من الأقوال والأفعال، كما قيل العلم في الصغر كالنقش في الحجر، فحفظ القرآن الذي به أكبر مخزون من المعارف وإذا كان مجسدا في مرحلة الطفولة المبكرة ترسخت في ذهنه وهذبت نفسه وقومت سلوكه حتى الكبر.

هوامش الدراسة:

1 -هبة محمد عبد الحميد، معجم مصطلحات التربية وعلم النفس، دار البداية، ناشرون وموزعون، ط1، عمان، الأردن، 2008، ص123.

2 -أ. د. سهام محمد بدر، اتجاهات الفكر التربوي في مجال الطفولة، مكتبة الأنجلوا المصرية، مصر، 2002، ص 207-208.

3 -د. عزيزة اليتيم، الأسلوب الإبداعي في تعليم الطفل ما قبل المدرسة، أسسه مهاراته مجالاته، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط1، 2005، الكويت، ص 36.

4 -د. محيا زيتون، التعليم في الوطن العربي في ظل العولمة وثقافة السوق، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، ديسمبر 2005، بيروت، لبنان، ص 66-67.

5 -عبد الوهاب خليل الدماك، تربية الطفل المسلم من الجانب الاجتماعي، ط1، جهينة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005، ص 15.

6 -عمر محمد خطاب، الإبداع في تربية الطفل، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2006، ص 27.

7 -د. باسم علي حوامدة، د. أحمد رشيد القادري، د. شاهر ذيب أبو شريخ، تربية الطفل في الإسلام، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005، ص 49.

8 -فتيحة كركوش، سيكولوجية طفل ما قبل المدرسة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2008، ص 19.

9 -سعيد حسني العزة، طرق دراسة الطفل، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 2004، الأردن، ص16.

10 -د. أميرة علي محمد، المرجع في طفولة المبكرة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط 01، 2008 الهرم، ص 47.

11 -سعيد حسني العزة، مرجع سبق ذكره، ص 17.

12 -د. أميرة علي محمد، مرجع سبق ذكره، ص 42.

13 -أ. د.هدى محمد فتاوي، الطفل ورياض الأطفال، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة، مصر، 2004، ط02، ص 117.

14 -المركز الوطني للوثائق التربوية، التعليم في مرحلة ما قبل التمدرس، وزارة التربية الوطنية، إعداد جميلة جحيش، العدد 39، 2005،ص 01.

15 -أ.د. هدى محمد فتاوي، الطفل ورياض الأطفال، مرجع سبق ذكره، ص 117.

16 -سعيد حسني، العزة، طرق دراسة الطفل، مرجع سبق ذكره، ص 21.

17 -د. أميرة علي محمد، المرجع في الطفولة المبكرة، مرجع سبق ذكره، ص 45.

18 -د. هدى محمود الناشف، برنامج رياض الأطفال، دار الفكر ناشرون وموزعون، ط1، 2004، القاهرة، مصر، ص 35، 36.

19 -د. كوثر كوجك، د. سعد مرسي أحمد، تربية الطفل قبل المدرسة، عالم الكتب، القاهرة، مصر بدون سنة، ص 215.

20 -أ. د. سهام محمد بدر، اتجاهات الفكر التربوي في مجال الطفولة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2002، مصر، ص 95.

21 -عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق أحمد جاد، مؤسسة قصر البخاري، الجزائر للنشر والتوزيع، 2012، ص 539.

22 -سهام محمد بدر، اتجاهات الفكر التربوي في مجال الطفولة، مرجع سبق ذكره، ص 111.

23 -محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، المرادية، الجزائر، ص 56.

24 -خالد بوهند، بحوث وقراءات في تاريخ الجزائر العام، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط، س، ص 69.

25 -مراد زعيمي، مؤسسة التنشئة الاجتماعية، دار قصابة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، 2007، ص 119.

26 -حديث رواه مسلم.

27 -د. عبد الله الرشدان، د. نعيم جعنيني، المدخل إلى التربية والتعليم، دار الشروق، عمان، الأردن، 1994، ص 258.

28 -عبد العظيم خصر المشيخص، آداب التعليم في الإسلام، دار الهادي، للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، لبنان، 2005، ص 114.

29 -سهام محمد بدر، اتجاهات الفكر التربوي في مجال الطفولة، مرجع سبق ذكره، ص68.

30 -نفس المرجع، ص 70.

31 -نفس المرجع، ص 70.

32 -نفس المرجع، ص 71.

33 -نفس المرجع، ص 72.